وثائق تاريخية عن حلب

في القرن الثامن عشر

١) عدد السكان ٢) الغرامات ٣) التراجمة

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

سيكون هذا المقال وما سيليه ، ان شاء الله ، فاتحة لسلسلة ثالثة تتبع ما نشرناه في المشرق (١٩٦٠-١٩٦١) وقد طبع على حدة في مجلدين الاول عن يومية البخاش والحوادث المتصلة بها في منتصف القرن التاسع عشر والثاني عن منظومة الشيخ ابي الوفاء الرفاعي في اولياء حلب المسلمين.

وسيتألف من هذه السلسلة الجديدة مجلد ثالث من « الوثائق » نرجو ان يستقبله الادباء وعموم القراء الكرام بالرضى والارتياح كالكتابين السابقين.

١) عدد سكان حلب في القرن الثامن عشر

ان العلامة سوفاجه الفرنسي في الكتاب الجليل الذي وضعه عن حلب[1] وساهمت بنشره الجمعية العلمية للتفوش والاداب سنة ١٩٤١ ابدى تدقيقاً لم يسبقه اليه غيره في وصف التطور الذي حدث في الشهباء ، منذ تأسيسها في القرن العشرين قبل المسيح الى منتصف القرن التاسع عشر بعده.

ليست غايتي ان اعرّف الى القراء هذا المؤلف الخطير الا اني قرأت في الصفحة الـ ٢٣٨ من المجلد الاول منه حاشية (رقمها ٩٠٨) في عدد سكان المدينة في القرن الثامن عشر فاردت ان اقتطف منها اهمها واضيف اليه بعض تعليقات عثرت عليها في اثناء مطالعاتي في دار الكتب المارونية في حلب

1) J. Sauvaget, Directeur d'Etudes à l'Ecole Pratique des Hautes-Etudes, (Sorbonne):ALEP, Essai sur le développement d'une grande ville syrienne des origines au milieu du XIX^e siècle, I^e Volume : Texte, II^e Volume : Album. Petit in f°. Paris, Geuthner, 1941 .

فيكون ذلك تكملةً لما حرره العلامة سوقاجه يتفكه به محبو المطالعة من اخواننا الشرقيين عامة ومن مواطنينا الحلبيين خاصةً .

قال : ذهب الرواد الاوروبيون شتى المذاهب في تقديرهم عدد سكان حلب فتضاربت اقوالهم وتباينت احصاءاتهم . وذكرت لائحة باسمائهم انتخبتُ منها اولئك الذين تكلموا في العهد الذي يهمنا امره وهي هذه :

دارفيو قنصل فرنسة في حلب سنة ١٦٧٩ قدر عدد سكانها استنادًا على عدد المصابيح التي تضاء في بيوتها فكانت ١٣٣٦٠ مصباحاً .

شيلينجر في سفرة اليها سنة ١٧٢٧ قدّر سكانها بمئتي الف نسمة .

ميلز سنة ١٧٣٥ قدرهم بخمس مئة الف

اوتر سنة ١٧٤٨ عدّد البيوت الا الخانات والمدارس وغيرها فقدّرها باربعة عشر الف بيت .

ڤولنه سافر الى سورية ومصر سنة ١٧٨٣ و١٧٨٤ و ١٧٨٥ وكتب عن حلب فاحصى سكانها فكانوا مئة الف .

البارون دي طوط سنة ١٧٨٤ قدر عددهم بمئة وخمسين الفاً .

تايلور في رحلته الى الهند بطريق الصحراء الكبرى سنة ١٧٨٩ مرّ بحلب وعدّ سكانها فكانوا سبعين الفاً .

ديڤيزين قنصل انكلترة في حلب قدّر سكانها سنة ١٧٩٣ بستمئة وثلاثين الفاً .

روسل في كتابه عن تاريخ حلب الطبيعي المطبوع في لندن سنة ١٧٩٤ حسبهم مئتين وخمسة وثلاثين الفاً .

وختم العلامة سوقاجه كلامه فقال ان احصاء دارفيو دون غيره هو وحده حقيق بان يعتمد عليه .

واننا في اثناء مراجعتنا سجل الوفيات من ٢٦ ك ٢ سنة ١٧٣٣ الى ١٤ ك٢ سنة ١٧٦٤ المحفوظ في خزانة آثار الطائفة المارونية المذكورة سابقاً عثرنا على وثيقة باسم القس انطون صقر جاء فيها احصاء البلدة استنادًا الى اربع حجج :

١ً : نسبة عدد ابناء الطوائف الى ما يترتب عليها من الضرائب.

٢ً : التقدير اخذاً عن اقوال الاوروبيين الموجودين في البلد آنذاك.

٣ً : تخمين عدد السكان من كمية الخبز او الطحين المطلوبة يومياً لاعاشتهم.

٤ً : المقابلة بين عدد الاموات نسبةً الى الاحياء في مختلف الطوائف على مدى السنة الواحدة.

فجاء الاحصاء مستنداً الى قواعد ثابتة تمكننا من تقدير سكان حلب في منتصف القرن الثامن عشر بثلاث مئة الف نسمة.

ولم نستطع ان نعرف من هو القس انطون صقر محرر الاحصاء. فلعله كان من الكهنة اللبنانيين الذين كانوا يأتون الى حلب لخدمة الرعية ولا يزال سجل الطائفة المارونية في حلب يحفظ اسماء عدد غير قليل منهم. وكان يدور بالنوبة مع المطران جبرائيل حوشب لزيارة الرعية. وترك حسابات سنذكرها وهي غير مضبوطة. ولعل السبب في عدم ضبطها اما المؤلف ذاته[1] واما ناسخه واما طريقة توزيع التذاكر فان ذاك التوزيع لم يكن يجري بالنسبة الى الاحصاء على الاطلاق. كان يُضرب مثلاً على كل مئة شخص من ابناء الطائفة عدد خاص من التذاكر الملزمة بدفع المال الاميري المطلوب ولكن كان يتناول فقط من ابنائها القادرين على الدفع عن انفسهم وربما كلفوا الدفع عن غيرهم من الفقراء. ومن ثم حصل التفاوت في التناسب بين عدد التذاكر وعدد ابناء الطائفة وبين القراريط المذكورة كما سترى. وليس في ذلك عظيم اهمية فيما يخص موضوعنا ما دامت النتيجة واضحة صحيحة. مثال ذلك مشكل حساب غلطت في عملياته ومع ذلك بلغت الى حله الصوابي. واليك الوثيقة على علاتها :

"يوجد بمدينة حلب نحو ثلاث كرات[2] وثلث من البشر منهم ثلاث كرات مسلمين ومنهم ثلاثين الف نصارى ومنهم اربعة آلاف يهود وايضاح ذلك هذا هو :

---

١) ان بعض الارقام يتبعها الكاتب بخط يشبه ذيل الهاء فسرناه بكلمة [تقريباً]

٢) الكرة : مئة الف

اولًا من خصوص عدة انفار النصارى في سنة ١١٥٣ هجرة الموافقة الى سنة ١٧٤٠ مسيحية ادعوا طايفة الموارنة على طايفة الروم امام حضرة احمد باشي الدوزكلي والي حلب وامام حضرة الملا حاكم الشريعة وقالوا بدعواهم ان الغرامات العرفية التي تنزل على النصارى القاطنين بحلب يوزعها طايفة الروم على طايفتنا باعتبار خمسة قراريط ونصف قيراط ويصير لنا بسبب ذلك غدر . ونزيد الآن ان توزع الغرامات العرفية التي تنزل بعد اليوم على الاربع طوايف النصارى بحسب الروس [كذا وهو يريد عدد الاشخاص] فحكم لهم حضرة الوزير وحضرة الملا المحترمين بذلك وامروا ان يراجع دفتر الجزية لاجل اخذ عدد روس كل طايفة من الطوايف الاربعة ليبان ما يلحق كل طايفة منها باعتبار الروس فلحق طايفة الموارنة بعدد اعتبار روسهم بموجب دفتر الجزية قيراطان وثلثا قيراط لكون عدة روسهم باعتبار تذاكر الجزية تسعماية تذكرة ولحق طايفة السريان بعدد اعتبار روسهم ثلاثة قراريط وثلث قيراط لكون عدة تذاكر جزيتهم الف ومايـة وثلاثون تذكرة . ولحق طايفـة الارمن باعتبار عدد روسهم ستة قراريط لكون عدة تذاكر جزيتهم الفين وثلاثون تذكرة . ولحق طايفة الروم بعدد اعتبار روسهم اثنا عشر قيراطاً لكون عدة تذاكر جزيتهم اربعة آلاف وستين تذكرة» .

من المعلوم ان رئيس كل طايفة يترتب عليه ان يؤدي عن طائفته المال المضروب بموجب عدد التذاكر . وهذه التذاكر توزع على ابناء الطائفة والغني منهم يؤدي المال عن الفقير .

«طايفة الموارنة قيراط عدد	٢	تذاكر عدد	٩٠٠ نفر	٣٠٠٠
طايفة السريان قيراط عدد	٣	تذاكر عدد	١١٣٠ نفر	٣٧٥٠
طايفة الارمن قيراط عدد	٦	تذاكر عدد	٢٠٣٠ نفر	٦٧٥٠
طايفة الروم قيراط عدد	١٣	تذاكر عدد	٤٠٦٠ نفر	١٣٥٠٠
	٢٤ قيراط		٨١١٠[1]	٢٧٠٠٠

« يكون لحق كل قيراط ثلاثماية وثمانية وثلاثين تذكرة ٣٣٨ [تقريباً]

١) الصواب ٨١٢٠

ثم انا الحقير القسيس انطون صقر تلك السنة عينها اي سنة ١٧٤٠ ضبط [يريد ضبطت] انفار الموارنة حين كنا دايرين بجمع النورية فطلعوا ثلاثة آلاف وثلاثة وثلاثين نفر منهم ذكورا الف وخمماية وواحد ومنهم اناث الف وخمماية واثنين وثلاثين نفر فيكون حق كل قيراط من قراريط الموارنة الف ومماية وخمسة وعشرين الف[1] .

« فعلى هذا القياس يكون السريان ثلاثة آلاف وسبماية وخمسين نفر . ويكونوا الارمن ستة آلاف وسبماية وخمسين نفر ويكونوا الروم ثلاثة عشر الف وخمماية نفر .

الموارنة انفار عدد	٣٠٠٠
السريان انفار عدد	٣٧٥٠
الارمن انفار عدد	٦٧٥٠
الروم انفار عدد	١٣٥٠٠
	٢٧٠٠٠

« ويوجد ايضاً بحلب نصارى عربية منهم اناس متزوجين بحلب والباقي غرباء مسافرين[2] وهم خارجين عن حساب عدد النصارى الذين اخرجوه من دفتر الجزية وهو نحو ثلاثة آلاف نفر فيكون جملة النصارى الموجودين بحلب كبار وصغار رجال ونسا نحو ثلاثين الف .

« ثم نقول من خصوص عدد انفار اليهود فعلى موجب كلام وكلامهم انهم الف ومايتين واربعين تذكرة فعلى موجب حسابنا هذا يكونوا ثلاثة قراريط وثلثين قيراط ويكونوا اربعة آلاف ومماية وثلاثين نفر لان يبلحق كل قيراط تذكرة ٣٣٨ [تقريباً ؟] ويبلحق كل قيراط انفار ١١٣٥ [تقريباً ؟] .

« ثم نقول من جهت عدة انفار المسلمين

« قد استدلينا على عدة انفار البشر الموجودين بمدينة حلب من ثلاثة اوجه

---

١) ١١٢٥٠٠٠ لم استطع ان اتبين صحة هذا العدد .

٢) قال كامل الغزي في نهر الذهب ٣ ، ص ٢٩٨ : في ١١٥٣ كانت القرالة من الانكليز في حلب فكان لهم فيها قنصل وعشرة تجار وقسيس وكاتب اسرار وطبيب .

« الوجه الاول وهو قد يوجد بحلب ناس من طايفة الافرنج معلمين بصناعة الهندسة وممارسين على تقدير عن البشر من بلادهم فقدروا البشر الموجودين بمدينة حلب انهم نحو ثلاث كرات وثلث .

والوجه الثاني هو قاطعية البلد من الحنطة لان قاطعية البلد كل يوم خمسين مكوك[1] حنطة والذي بياكلوا الخبز من السوق فهم اقل من ثلث البشر الموجودين بحلب . والباقي هم الذين اكثر من الثلثين الذي يتمونوا الحنطة فعلى هذا القياس تكون قاطعية البلد كل يوم مكوك ١٦٤ ماية واربعة وستين التي تكون شنبل ٢٦٢٤ وقدرنا كل شنبل ارطال ٢٤ فيكون طحين ارطال ٦٢٩٧٦ وحسبنا كل رطل طحين بيطلع رطل واربع اواق خبز فتكون جملة ارطال الخبز ٨٣٩٦٨ ثم قدرنا ان كل انسان بياكل كل يوم ثلاث اواق خبز فتكون جملة البشر على هذا الحساب انفار ٣٣٥٨٧٢ اي ثلاث كرات وخمسة وثلاثين الف وثمانماية واثنين وسبعين نفر . فهذا الحساب يكون زاد عن الثلاث كرات وثلث نفر ٢٥٣٩ .

« والوجه الثالث من عدد انفار موتى النصارى لان النصارى ثلاثين الف نفر مات منهم ١٥٨٧ فيكون مات منهم حساب خمسة بالماية والمسلمين مات منهم خمسة عشر الف وماية فاذا حسبنا موتاهم خمسة بالماية نظير مما مات من النصارى فتكون عدة الاحياء ثلاثة كرات تمام والله اعلم » .

ذكرنا اسماء الرواد الاوربيين وما ذهبوا اليه من المذاهب في تقديرهم عدد سكان حلب في القرن الثامن عشر ولم نأت على ذكر المؤرخين العرب في هذا الصدد . ولماذا ؟ — لان بني عثمان كانوا في ذلك العصر يحكمون سورية فلم يكن للناطقين بالضاد مكانتهم في عالم الحياة الاجتماعية والسياسية التي تمتعوا بها فيما بعد بفضل اليقظة الوطنية والوعي القومي . فضلاً عن ان احصاء السكان طبقاً لقواعد دقيقة لم يأخذ بالانتشار في العالم المتمدن الا منذ عهد غير بعيد عن عهدنا . فاول احصاء في دول المانية كان سنة ١٧٤٢ ؛ وفي اسوج سنة ١٧٤٨ ؛ وفي الدانمرك سنة ١٧٦٩ ؛ وفي

---

١) المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع او نحو ذلك .

اسبانيـة سنة ١٧٨٧ . اما في انكلترة فبعد ان وضعوا التصميات للاحصاء العام سنة ١٧٥٣ لم ينفذوه بالواقع الا سنة ١٨٠١ . واخـذت من ثم سائر الدول تحصي سكانها وآخر من اتبع هذه الخطة من الدول في العالم المتمدن كانت تركية سنة ١٩٢٧ .

اما في سوريـة فكان آخر احصاء فيها في ٢٥ اذار الماضي ولم تظهر بعد نتائجه .

فيفيدنا ان نقابل بين عدد سكان حلب في القرن الثامن عشر وعددهم في عصرنا واليك احصاء سكان هذه المدينة في سنة ١٩٣٥ كما وصل الينا عن دائرة الاحصـاء وفي سنة ١٩٤٧ عن لسان محافظ حلب الامير مصطفى الشهابي (راجع جريدة التقدم الحلبية في ٢٢ ك ٢ ١٩٤٧) .

احصاء سكان مدينة حلب اخذاً عن السجلات الرسمية وكلها على التقريب

سنة ١٩٣٥	المسيحيون الكاثوليك	سنة ١٩٤٧
الروم الملكيون	١٠١٠٣	١٢٢٧٩
الارمن	٦٧٥٤	٧١٥٣
السريان	٥١٢٠	٦٢٨٤
الموارنة	٣١٥١	٢٨٣٨
الكلدان	١٨٥٢	
اللاتين	١٨٢٣	٢٢٥٣
المجموع	٢٨٨٠٣	
	المسيحيون غير الكاثوليك	
الارمن	٤٩١١٤	٦١٥٢٩
الروم الملكيون	٣٥٠١	٦٣٥٢
السريان	٤٤٨٣	٥٦٣٣
البروتستانت	١٩٨٦	
المجموع	٥٩٠٩٤	

مجموع المسيحيين	٨٧٨٨٧	١١٣١٣١
المسلمون	١٥٣١١٤	٢٠٩٢١٤
اليهود	٩٩٦١ ومعهم الكلدان	١٣٩٠٢
المجموعات	٢٥٠٩٦٠	٣٣٦٢٤٧

هذا واذا فطنا الى حركة انتقال السكان الى حلب من السنجق بعد انضمامه الى تركية ومن الجزيرة بعد وقوع حوادث سنة ١٩٤٥ لم نتعجب من التفاوت بين احصاءات سنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٤٧

اما السبب في زيادة عدد الارمن غير الكاثوليك العظيمة فيما اذا قوبل بين احصائهم اليوم واحصائهم في منتصف القرن الثامن عشر كما قلنا فيظهر انه لم يك الا المذابح التي وقعت في ارمينية سنة ١٨٩٥ وسنة ١٩٠٨ وخاصة جلاؤهم عن الاناضول وقيليقية في ايام « سفر برلك » او في حرب ١٩١٤ — ١٩١٨

٢) الغرامات

بعيد كل البعد من فكرنا فيما اذا ما ذكرنا تظلم المسيحيين من حكامهم في ذلك العهد ان نلقي التبعة في اضطهادهم على العقلاء والصالحين من مواطنيهم الذين كانوا يشاطرونهم السراء والضراء في حياتهم .

وان ننسَ فلا ننسَ ما كان لحسن الجوار والتضامن بين الاهلين من الوسائل التي تقيهم شرور الساعة وما كان لآل العظم « السوريين » من الايادي البيضاء على بلادهم حين توليهم شؤونها كمحمد باشا العظم سنة ١١٧٧ هـ ١٧٦٣ م. فقد كان يتنكر ويتفقد احياء البلد ليلاً ليمنع الجور والفساد وهو الذي ابطل بدعة الدومان وهم جماعة كانوا يحتكرون اللحم ليبيعوه باغلى الاسعار . ولم تخلُ البلاد ولله الحمد تماماً من مثله . على ان عهد الباشاوات في تلك الايام كان غالباً عهد استبداد وطغيان مما لم تزل اقلام الكتبة والمؤرخين من عرب وعجم تتصدى لتبيانه .

كانت المناصب تعطى لا للذين يستحقونها دون غيرهم ولكن لمن كانوا يبتاعونها بالاصفر الرنان . حتى اذا فازوا ببرادهم وجلسوا على كرسي الحكم

اخذوا يسلبون الرعية اموالها ليعاضوا بما فقدوه بالوصول الى مناصبهم[1].

واذا ارتفعت اسعار الحاجيات واشتدت ازمة اللحم او الخبز لم يكن من النادر ان يتآمر الحاكم خفيةً مع الجزارين او الطحانين على ان يساعدهم في احتكار اللحم او الطحين تلقاء الاموال الطائلة التي يبتزها منهم . ومن ثم تحدث الاضطرابات « وتقوم البلد » ويهاجم الجياع دار الحكومة ويرتدون منها لنهب الاسواق فيضطرب حبل الامن وتشتعل الفتنة[2] . ويقع قتيل يغرم النصارى بدفع ديته فيما اذا كان وقوعه في حيهم او على مقربة منه . وربما دبت عقارب السعاية الى ما بين صفوفهم فيترافعون امام القضاة ويلجأ رؤساؤهم الروحيون الى التدخل في الامر مما يجر عليهم العذاب والسجن والاضطهاد والغرامات ومن ثم ترفع الشكاوي والدعاوي الى من كان باستطاعتهم التوسط بين الراعي الظالم والرعية التاعسة كالقناصل . فالقنصل كان غالباً من كبار التجار ذا مقام رفيع عند الباشا لانه كان بسعيه ونفوذه وحسن سياسته يساعد على تهدئة الخواطر واصلاح ذات البين . ومن الذين اشتهروا في تلك المهمة آنذاك اسرة بيت بيتشوتو القنصلية فقد كانوا تجاراً وصيارفة « يقضون الغرض » للباشا عند اللزوم ولا يفوتهم فرصة للاستفادة من رهن املاك الدولة وشرائها على حساب الباشا . واليهم والى غيرهم من القناصل كان المضطهدون يلجأون في ضيقتهم . وربما افادهم التجاؤهم الى بطريركهم وكان لهذا صوت مسموع ما وراء الحدود فيبلغ آذان الباب العالي عن طريق السفارات واليك صدى لتلك الاستغاثة في آثار الطائفة المارونية المذكورة في اضبارة المطران جبرائيل حوشب (رقم ٧٨) « نسخة تحرير ابناء الطائفة بحلب الى البطريرك طوبيا (الخازن) تاريخ ١١ تشرين الاول سنة ١٧٥٦ وفيه يصفون الاضطهاد اللاحق بهم من الحكومة وعدم امكان احد من الكهنة والعوام الذهاب اليه لان اسم لبنان مكروه ... من قبل حكام البلد الذين لم يزالوا فاتحين افواههم ليبتلعونا ...

١) راجع كامل الغزي ، نهر الذهب ٣ : ٢٨٥ وما بعدها . وكتاب سوقاجه المذكور عن حلب ص ١٩٣ وما بعدها .

٢) راجع كامل الغزي نهر الذهب ٣ : ٢٩٧ في كلامه عن قتل شيخ المدارائية .

« . . . ونحن احيا ويسلبوا مالنا . ونحن ما بقينا قادرين على العطا مثلما كنتم تعرفونا خصوصاً اذا عرف الحاكم ان الكهنة متوجهين الى الجبل لعند بطركهم فيسك علينا حجج كثيرة ولو كانت بغير حق . من الجملة اسم بطرك جديد يقول لنا ابن فرمان . واسم الجبل مكروه عند حكام بلدنا . لان كلما غاب مسلماني يقولوا لنا ارسلتوه للجبل حتى ينتصر . ويا ما خسرنا اموال فوق طاقتنا بسبب هذه الكلمة . والشاهد لصحة قولنا هو امر اليهودي الذي فقد من حلب في الايام التي كان عندنا القس اغوسطينوس يازجي قدسكم والقس ارسانيوس شكري الحكيم . وكيف تهونا بارساله الى الجبل وحبسوا مطراننا والقس ارسانيوس المذكور وبعض من الكهنة وجملة انفار من الطايفة مدة اثني عشر يوماً في الجزير . ولم يخلصوا الا ببلغ عظيم من المال . فليسأل قدسكم القس اغوسطينوس المذكور فيخبركم بالجميع ومثله مرات كثيرة وهل يخفى سفر الكهنة عن الحكام فالعوانية كثيرون فلا تقاس بلادكم وحكامكم على بلادنا وحكامنا . انتم احرار مثل البلاد الافرنجية ونحن في الاسر والعبودية فلا يتعجب قدسكم من قولنا بان علينا اخطار عظيمة من توجه الكهنة نحو سيادتكم » .

واليك ما جاء في « اضبارة تحارير المطران جبرائيل حوشب » (ارتسم ١٧٣٢ توفي ١٧٦٢) .

« بيان مصاريف الذي انصرفت في زمان حضرة يعقوب باشا[1] . تحريراً في غرة شهر جماد الاول ١١٥٣ الى يوم طلوعه من حلب » اما تفاسير الالفاظ التركية فيها فقد اخذناها عن كتاب Barbier de Meynard الدرر العمانية في اللغة العثمانية — طبع في باريس ١٨٨٦ وهو قاموس تركي افرنسي راجع كل مادة بمادتها المرتبة طبقاً لترتيب الاحرف الهجائية .

---

١) لم نجد له ذكراً لا في درر الذهب ولا في تاريخ السلطنة العثمانية لعامر . ولعل مدة اقامته في حلب لم ترد على الاشهر شأن الولاة العثمانيين في ذلك العهد

١

بارة غرش[١] مادية[٢] الاولاد كلفة الحج[٣] والبيوردي[٤]

١٥٠٠ الى الخزانة العامرة[٥]

٢٧٥ الى الكاخية[٦]

٥٠ الى المباشر[٧]

٤٧٤ الى باش جاويش[٨] وخرج[٩] الباب

٤٠ الى ويس اغا

٣٠ الى الصراف

١٠ الى دويدار

١٥٠ الى الملا السابق[١٠]

---

١) وفي دفتر حجج ملكية وقف الطائفة المارونية جاء في سنة ١٧٨٠ ذكر حجة بيع دار في الصليبة بثلاثمئة غرش جديدة سلطانية فلا بد ان تكون الغروش السلطانية سعرها غير سعر هذه الغروش الفضية وقيمتها اربعون بارة الغرش . وكان سعره ٢١ سنتيماً ذهباً على التقريب (Encyclopédie de l'Islam II. p. 135)

٢) مادية لعله يريد بها المادة .

٣) كان مرور الحجاج في حلب يتطلب اعانات توزع على المكلفين .

٤) البيوردي او بيورلدي اسم كان يطلق سابقاً على الامر المطاع او الارادة السنية من جانب السلطان او الصدر الاعظم وقد اطلق بعد ذلك على البلاغات والتعليمات الصادرة من مدير دائرة الشرطة .

٥) الى خزنة او صندوق الباشا .

٦) الكاخية او الكخية او الكتخدا : من الفارسية ومعناها صاحب (خدا) البيت (كت) وهو النائب المفوض من قبل سيده في تدبير الامور .

٧) المباشر هو احد العمال في دوائر الحكومة – الحاكم .

٨) جاوش : الخادم في المحكمة . باش جاوش : كان سابقاً رئيس اورطة الانكشارية الخاصة .

٩) خَرَج : النفقة من المال للدخول .

١٠ : الملا : السيد

١٤٠	الى نايب وكاخية وخرج الباب
٧٠	وايضاً خرج باب المحكمة البراني
٢٥٠	الى خزينة دار الباشا
١٥٠	الى احمد افندي
٣٠١٣	
١٣٤	الى باش جوقه دار[1]
* ٣٧٤	الى القاضي لاجل قليط[2]
٣٧٨	الى كاخية القاضي
٣٢٨	الى الحاج عبدالله والي ترجمان والمحضر
٣٠٠	الى احمد افندي من يد نحمه
٣١٢٨	قتالة القاضي مع الكاخية
١٠٠	الى صراف الباشا
٣٧٨	الى كيخيه
* ٩٦٤٢	

٢

٠٠ س	مادية الزفراف مع دعوة المره
٢٥٠٠	الى خزنة الباشا
٣٥٠	الى الكاخية
٢٥٠	ايضاً الى الكاخية ده يك[3]
٢٧٥	خرج خزنة وخزينة دار
٥٠	الى قبجيلر كاهياسي[4]

١) باش جوقه دار : الاول بين خدمة السلطان وكان تحت امره اربعون خادماً . كان يمشي على يمين السلطان ويضع يده اليسرى على ظهر حصانه ويحمل بيده اليمنى كيساً من حرير فيه بابوج السلطان .

٢) قليط . جاء في الدرر : قليته وهي نوع من الطعام .

٣) ده يك ؟ قد يكون معناها من اجل الدية ؟

٤) قبجي مغلوط عن بكجي اي الحارس او البوّاب .

١٠٠	الى ديوان افندسي	
٥٠	الى مهر دار	صاحب الختم
٢٠	الى دويدار	صاحب الدواة
٥٠	الى ويس اغا	
٢٥	الى امين وترجمان	
١٥	الى عربي كاتب	
١٥	الى جوقة دار الكاخيه	
٤١٥	الى مطرجي[1] الباشا	
٢٥٠	الى والي افندي	
١٥٠	الى كاخيه اغاسي	
٢٥	الى خزينة دار اغاسي	
١٠٠	الى جوقة دار اغاسي	
٣٠	الى اولاد القاضي	
٢٧٨	الى باش نايب	
١٥٠	ثمن ساعات عدد ٢	
١٣٤	الى جوقة دار القاضي	
٣٠٠	الى احمد افندي من يد نحمه	
٥٥	الى (؟) من يد نحمه	
٥	الى يسقيه[2]	
٤٠	الى الحاج عبدالله والمحضر والترجمان	
٢٧٨	الى معلم سلطان ثمن جوخ وشاش	
٥٢٨٩		

١) مطرجي او مطهرجي : حامل المطرة او السقا . والمطرة كانت قنينة من جلد تملأ ماء وتحمّل على الدابة في السفر ومنها المطرة اسم لوعاء للماء يحمله الجند في رقاجم .
٢) اليسقي او الياسقي : مأمور التنفيذ

٣

٠٠ س	مادية الراهب
٣٦٠٠	الى خزنة الباشا
٣٥٠	ده يك
١٥٠	الى ديوان افندسي
٢٥	الى سلام اغاسي
١٠٠	الى المباشر
٧٧٤	الى ويس اغا
١٥٣٤	خرج مفردات
٣٥٠	الى (؟)
٤٨٠٦ ـ	
٥٠٠	دعوة قسيس الذي مسكره على بكره
٥٠٠	دعوة البندوق
٥٨٠٦ ـ	

٤

٠٠ س	مادية الحكيم الذي مات في دكانه
٢٥٠٠	الى خزنة الباشا
٢٥٠	ده يك الى الكاخيه الديه
٢٨٨٤	ده يك الده يك [لم يكتفوا باول دفعه ؟]
١٣٩٠	خرج خزنه
٥٠٠	الى الكاخيه
٤٠٠	الى القاضي والنايب الذي سافروا
٦٥ ـ	الى باش جاويش
٩٢٤	الى ويس اغا ظاهر ومخفي
١٠	الى اولاده

٢٠	الى امين والترجمان
٢٥	الى عربي كاتب ١٥ وديوان افندى ١٠
٥٣٤	ثمن جوخ لويس اغا
٥٠	الى خزينة دار الكاخيه
١١٧	الى لطاخ رخت فهى الكاخيه (؟)
٢٧٧	الى ديوان افندي
٢٥	الى سلام اغاسي
١٠	الى الهردار (؟)
١٢٨٠	الى عثمان اغا الباش
١٣٩٧	الى صراف الباشا
٥	الى تابع الصراف
١٠٠	ليلة الذي سافر الكاخية مع الاجي في يد الكاخيه
١٥	الى اسبير تابع الخزينة دار
٢٣٧	مصاريف متفرقة
٤٩٨٢	

٥

مادية قتالة البسارنه[1] عند التترلار

١٥٠	الى الكاخيه
٢٥	الى ويس اغا
٤٨٧	خدم تفنكجيه وعيادية جواويش زلطين وخمسه
٥٦٤٤	

٥٠ الغرش ٤٠ باره
٥ ثمن غرش
١٠ ربع غرش
١٥

١) البسارنة جماعة بغي ذكرهم في حلب بالكمك البساراني – التاترلر حي في حلب (راجع ذكره في كتاب در الذهب للنزي ٢ ، ص ٢٢٦

الفرش يقسم الى ٨ اقسام

٥ الاول

ـ ١٠ الثاني

ـ ١٥ الثالث

٢٠ الرابع

٢٥ الخامس

٣٠ السادس

٣٥ السابع

٤٠ الثامن

٥٦ في يد ويس اغا

١١٥ في اجارة الصراف اليهودي

٣٨ الى عثمان اغا ثمن عبايه

١٤٥ مصاريف في يد مناحي متفرقة

٣٥٤

٦

٠٠ س جرم مادية رجم المحكمة

١٠٠٠ الى خزنة الباشا

١٠٠٠ الى الكاخيه

١٠٠ ده يك

١٠٠ الى خزينة دار الباشا

١٣٠ الى ديوان افندسي

١٦٢٤ الى باش جاويش

٤٥ الى ويس اغا وامين ترجمان وعربي كاتب

٢٥ ٥ ١٥

٢٨ الى محمد زغير واوضه باشي

١٠٠ الى ويس اغا طالب من كل طايفه وكيل

١٨ الى باش جاويش ثمن بزه (؟)

١١٥ خدمة تفنكشي باشا
٢٠ عبايه الى ويس اغا
١٨ ثمن جوخ الى مطرجي وسلام اغاسي
٢٠ الى سلاح دار وتوابعه
٢١ الى ويس اغا على دفعتين
٥٥ الى ديوان افندسي
٩٤٤ في يد الكاخيه لما رجع من وداع الالچي
٢٢٥٤ مصاريف هل ماده وخدمها .
٣١٥٣:

٧

٠٠ س ماديه لما جاب الاربع مطارين[1]
٤٠٠٠ الى خزنة الباشا
١٠٠٠ الى الكاخيه
٦٠٠ الى خزنة دار الباشا وخرج
١٥٠ قبجيلر كاهياسي
١٥٠ الى ديوان افندسي
٥٠ الى سلام اغاسي
١٠١٤ الى باش جاويش
١٠ الى جاويشيه
١٥٠ الى ويس اغا
٣٠ الى امين وترجمان
٢٥ الى عربي كاتبي
١٧٥ خدم جوقه دايرية الكاخيه
٣٠٠ الى خزينة دار الكاخيه
٤٠ الى محمد الزغير وخاله

١) نجد تفاصيل ذلك في دفتر اخوية التريتان الارثن في تاريخ ١١ كانون الاول سنة ١٧٥٧ وسننشره في المشرق ان شاء الله .

١٢٥٠	الى القاضي
٣٠٠	ايضاً خرجها
١٥٠	الى كاخية القاضي
٢٥	الى خزينة دار القاضي
٢٧٨	الى باش نايب
٠٠ س	دعوة بندوق الروم
٢٠٠٠	الى الخزنة
٧٠٠	الى الكاخيه
٥٠	الى ويس
٨٥٠	مصاريف
٣٦٠٠	
١١٥٠	دعوه ثاني بندوق
٢٥٠٠	من طايفة الروم لما قاموا يلموا دين الفرنجي
٧٢٥٠	

٨

٨٢٠٠	ماديتين تبن وشاشات وبشاكيش معها
١٥٤٥٠	
٥٨٠٦	مجموعات
٣٨٢٨	
٥٢٨٩	
٢١٨٠٧	
٥٥٠	
٥٣٧٣٠	

وقد تأتي بعض المجموعات في النصوص التي نشرناها مغلوطة باليسير وليس للغلط اهمية عظمى بالنسبة الى النتيجة وهي البرهان على ان حمل الغرامات كان ثقيلاً على الرعية الى ان تبلغ منها الروح التراقي فيضطر الكهنة الى بيع

آنية الكنيسة ليدفعوا بثمنها الاذى عنهم وعن رعاياهم .

ولك الحجة على ذلك فيما نسخناه من اضبارة المطران ارسانيوس شكري حكيم اروتين مطران الموارنة في حلب ١٧٦٢ الى ١٧٧٦ وهذا ما جاء فيها (الوثيقة ١٨):

بيع فضي الكنيسة

« بالنظر معنا في حال الطايفة التي عجزت وضعف حالها من كثرة دفع التكاليف العرفية والجرايم الثقيلة التي طرت عليها في هذه الايام الصعبة التي لم يرى مثلها قط فلاجل حفظ الكنيسة والطايفة من الغايلات المذكورة اعلاه وقد تحققت جدًا لدى الجميع وما عاد خلاص الا ببيع جانب من فضي الكنيسة جانب معين الموقوفة لها من المحسنين وبمشورتنا نحن وبمعرفة الجميل قد باع من الفضي المذكور وزن ١١٥٤٠ درهم وهذه دفعها جرماً لاجل خلاص الكنيسة من الغايلة المذكورة وقد حررنا هذه الوثيقة برضانا

١٧٨٠ ١١ ايلول كهنة الطائفة بحلب »

وجاء بعدها الوثيقة ٣٥ من دون تاريخ : « وجهاء الطائفة يطلبون مساعدة المطران ارسانيوس شكري . غير خاف من علم قدسكم ضيقة الهرب والخبا والحبس والضرب والتعطيل الحاصلين به نحن اولادكم اصغار طايفتكم هذا ما عدا تسكير الكنيسة وابطال الذبايح وخطايا الندم التي من شأنها ان تصدر من الضيق وعدم النظام . »

تلك كانت الاحوال في زمان كثرت مظالم حكامه واضطهادهم . ولست اخشى ان يلومني لائم فيما اذا كشفت عن جراحات قديمة ضمدها الزمان لان في المقابلة بين ايامنا وايام حوشب وارتين مدعاة للعبرة المفيدة .

٣) الضرائب

كانت الضرائب والغرامات تثقل وطأتها على الاهالي على اختلاف طوائفهم فصار الناس يلتمسون السبيل الى التهرب منها كل فيما يوفق اليه من الوسائط ، وكان للمسلمين اسياد واشراف يوالونهم وهؤلاء كانوا يتمتعون بالاعفاء من كثير من الضرائب . وكان للمسيحيين القناصل فمن وفق منهم الى الدخول في خدمتهم كترجمان او غير ذلك او من تمكن من اكتساب ودهم بسطوا حمايتهم عليه ووقوه اداء البلص والغرامات .

كان لكل قنصل ترجمان واحد في بادئ الامر واذ كان القنصل في الغالب لا يفقه لغة البلاد كان يضطر الاستعانة بترجمانه في تعاطي اشغاله مع الحكام ومع الاهالي . ولم يلبث عدد التراجمة ان زاد حتى صار لكل قنصل عدة رجال يخدمونه فيستفيد منهم جاهاً ويوسع بسعيهم دائرة اشغاله التجارية وكان القنصل في الوقت عينه ممثلاً لدولة اجنبية وتاجراً . وكان التراجمة يستفيدون من مكانتهم تحت حمايته فتأتيهم السلع من البلاد الاجنبية ولا يدفعون عنها نفقات المكوس شأن القناصل ولا يحاكمون في الدعاوي الا في محاكم القناصل ولا يكلفون اداء الضرائب كما يكلف غيرهم من مواطنيهم .

واذ كانت الغرامات كما رأيت سابقاً تفرض على الطوائف وكان الاغنياء فيها يؤدونها عن فقرائها كان ابناء بعض وجهاء الطوائف الى دولة من الدول الاجنبية في خدمة الدوائر القنصلية يحرم الطوائف من مساهمتهم في تأدية الاموال ويثقل عبئها على كاهل المكلفين بنسبة قلة عددهم ، ولنا في وثيقة نسخناها عن اضبارة المطران حوشب وصف لهذه الحالة[1] .

طلب المطران الى اهل « الحماية » دفع ما يترتب عليهم من المال للطائفة وتأييد رؤساء المرسلين الاوروبيين لطلبه ولا يخفى ان لمصادقتهم على الامر اهميتها عند القناصل وهؤلاء بالغالب ينتسبون الى الطائفة اللاتينية فلا يسعهم الا ان يوافقوا المرسلين على الزامهم اهل « الحماية » والتراجمة بالقيام بواجبهم نحو طوائفهم . واليك الوثيقة المذكورة :

شهادة تاريخ ١٦ تشرين ١ سنة ١٧٥٨ ممضاة من رؤساء المرسلين بحلب على اجتماعهم عند المطران جبرائيل بخصوص اولاد الطائفة المنتمين الى الاجانب انهم ملتزمون بدفع الغرامة الموضوعة على الطائفة للحكومة .

« في اليوم السادس عشر من شهر تشرين الاول ١٧٥٨ قد [اجتمع الآباء] المكرمين مرسلين بيعة الله المقدسة القاطنين يومئذ بمدينة حلب جميعهم بطلب حضرة المطران جبرائيل حوشب لاجل تدبير ونظام طايفته المارونية حيث ان الكثيرين منهم ملتجيين الى حمايات متنوعه وتاركين ما يجب عليهم من

---

١) حاشية رقم ١٠٣ من اضبارة المطران جبرائيل حوشب في كنيسة آثار الطائفة المارونية بحلب .

المساعدة لقيام وثبات كنيستهم ومطرانهم وكهنتهم فبعد النظر والاطلاع على هذه الحوادث طبق رأي الجميع:

اولاً: بان يتوجه اثنان من الآباء المذكورين لحضرة قنصل فرنسا المكرم واثنان لحضرة قنصل البندقية الاكرم واثنان لحضرة الخواجا جرجس عايدة ويطلبوا منهم ان يلزموا كافة تراجمهم وحمايتهم وتوابعهم لان يحضروا في اليوم الثامن عشر من هـذا الشهر في دير حضرة الاباء المكرمين رهبان القدس حيث عقدت هذه الجمعية لكي ينبههم ويعرفوهم الواجب عليهم بل الالتزام الاضراري بقيـام كنيستهم ومطرانهم وكهنتهم ليس الاختياري فقط.

ثانياً: لكي يختار منهم بمعرفة حضرة المطران جبرائيل المشار اليه ثمانية انفار من كل صنف حماية يكونوا اصحاب (؟) واقرار (؟) ولهم وقوف في احوال الطائفة المذكورة بحسب الامكان لان يرتبوا عليهم وعلى بقيـة طايفتهم المارونية شيئاً معلوم في كل سنـة ويكونوا ملتزمين بدفع ما يترتب عليهم ويعطوه من غير تعلل ولا اهمال.

ثالثاً: ان انوجد بعض الناس مخالفين لهذا الاتفاق ولم يرتضوا بالذي ترتب عليهم ولذلك قاصصهم حضرة المطران جبرائيل المكرم قصاصاً كنائسياً ولو انه بالحرم اذا راه مناسباً لردعهم وردهم فلا يمكن ان احدٍ من المرسلين المكرمين يتعارضه بذلك ولا يقبلوهم بنوع من الانواع الا بدون طاعتهم وخضوعهم لامر حضرة مطرانهم واثباتاً لذلك حرروا هـذه الوثيقة بخطوط ايديهم لاجل البيان في التاريخ المذكور.

التوقيع:

Raimondo di Matta di Terra S^ta.
Federico di H. Wenceslao Carmelitano.
H. Cuisset, Sup. Jésuite.
Eleuhère Capucin et leurs religieux.

ريموندو دي متّا من ارسالية الاراضي المقدسة.
فيدريكو دي فنسيلاو الكرملي.
ه. كويسة رئيس اليسوعيين.
ألوثير الكبوشي وسائر رهبانهم.

ويظهر ان طلب المطران وتهديده التراجمة بالقصاص والحرم الكنسي لم تكن ليبلغ النتيجة المرغوب فيها الى مدى بعيد ونرى في اضبارة المطران ارسانيوس شكري خلف المطران حوشب تحت الرقم (٣٧) تحريرًا منه ومن كهنته (من دون تاريخ) «الى قنصل الفلمنك بخصوص التراجمين وما يلحقهم من الغرامة على «الكنيسة» طالبًا مساعدته بملاحقتهم واجبارهم على دفع حسابهم وما يلحقهم في التحرير ذاته . وفي (الرقم ٤٤) بتاريخ ٢٢ نيسان ١٧٦٤ يتفق المطران ارسانيوس مع انطون البيطار ترجمان الفلمنك ويسلّمه الوكالة ليقبض من اولاد طايفته التراجمين والاجانب ما يلحقهم من الغرامة بجانب الطائفة .» ويذكرها تحت الرقم (٤٥) فهي عشرة آلاف غرش. وهذا فيما يخص التراجمة الموارنة.

وفي سنة ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ يتدخل سليمان فيضي باشا بامر تخفيض عدد تراجمة قناصل الدول الاجنبية اجمالًا فيكتب الى الباب العالي بان عدد تراجمة القناصل في حلب بلغ نحو الف وخمسمائة وذلك لان الدولة اذنت لكل سفير في استانبول ولكل قنصل خارجًا عنها بترجمان واحد اعفته من تادية الاموال الاميرية .

وما لبث ان كثر طلب الاستخدام في دور القناصل وتكاثر عدد التراجمة فكنت ترى في ازقة حلب رجالًا كثيرين على رؤوسهم قلانس السمور وهي علامة التراجمة وقد بلغ عددهم على ما يقال في تلك المدينة الفًا وخمسمئة ترجمان واكثرهم توصلوا الى مهنتهم بالحيلة . وفي ذات يوم عينت الدولة مفتشًا يبحث عن حالهم فدعاهم اليه ليتأكد من هويتهم وحقوقهم فلم يجد بينهم الا ستة حقيقين بتنصبهم . فثبتهم فيه وحكم على الباقين بتأدية الاموال الاميرية المتأخرة عليهم . فدفعوا للكمركجي وللتحصيل دار خمسة آلاف ذهب وللوالي مثلها . . .[1]

ومن المعروف في ايامنا ان التراجمة اصبحوا كسائر السوريين متساوين بالحقوق والواجبات بعد الغاء الامتيازات الاجنبية .

---

١) راجع كامل الغزي : نهر الذهب ٣ ، ص ٢١١